

# تجليات في منطلق العودة أو عودة الحصان الأخضر المجنح بقلم شاكرون آل سعيد

## ٣ - التجلي الثالث :

### الإنسان العائد المجنح ، أو فصل في التناقض

قال الحلّاج : « رأيت طيرا من طيور الصوفية عليه جناحان ، وانكر شأني حين بقي على الطيران فسألني عن الصفاء ، فقلت له : أقطع جناحك بمقارض الفناء والا فلا تجمني . فقال بجناح أطير . فقلت له ويحك ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . فوقف عندئذ في بحر الفهم وغرق » . ص ٣١ الطواحين

\*\*\*

ينجز (✱) العمل الفني : بقعة ماء على قارعة الطريق ، أو اخاديد على القار . كلا . انه القار نفسه ، يخلط بالحصى ، وتفرش به الأرض ، ويستنوسه الاقدام والعجلات ، وسيكنس ويتصدع ... وستلتصق عليه بعض الازبال وتتجسد على سطحه فقاعات وتحفر ملامحه نهايات احذية النساء ، وتكن في أديمه غطاءات القناني ، او تعشش فضلات ذهبية اللون لحيوانات ظلفية عابرة ... ولكن اراه ، وتراه انت هناك ، بلونه الرمادي قطعاً تفصل بينهما الشقوق . القار ظل على قارعة الطريق ، والشقوق كانت من تأثير المناخ ، اما انا وانت فسوف نستنتج ( جمالية ) العمل الفني من خلاله ... من خلال هذا الانسان المسحور (١) .

« وظل الانسان لاصفا بالأرض » . ليس للانسان اي جناح ، اما الفنان فقد يشف وجوده عن الطائر لان ( الطائر هو التجسد الحيوي للانسان ) (٢) ولكن ذلك القار هو ( تجسد ) حيوي ايضا ، لا يزال الانسان من خلاله أكثر تحليفا في الفضاء . فيقدر مسا يلتصق بالأرض يملو في السماء . اما اذا تسنى له ( الفوص ) في القشرة الأرضية نفسها فسيكون في عداد من يخترق الغلاف الجوي . ومن ذلك ان يكون كلاهما في أقصى الاحوال عنصرا من عناصر العمل الفني نفسه .

« بأي جناح أطير ؟ » . وبمثل هذا السؤال الذي لا يزال يرثى في اذن الخليقة منذ الازل ( ازل الاشكال : راجع عيد الكريم الجيلي ، الانسان الكامل ، في معنى الازل ) ينطق الحجر الابكم . لقد كان نصفه (٢) مسحورا ( اي مسحوخا ) الى صخرة صماء . فلما زال عنه السحر اصبح انسانا تاما . وينطق القار ايضا عن تحليق الانسان المجنح ، ولكن قبل ان يخرج من النافذة . وما بين الحكاية الاسطورية وطبقات البناء السومري يدور الحوار ... ولكن عمل الفنان كان في دوره السرمدي

(✱) راجع القسم الاول من البحث في المدد الماضي من «الاداب» .  
(١) حينما يحسب حذاب احياء المظهر المادي للطبيعة ، هكذا ، فلكي يستعيد من خلال ذلك فناء ابدي لآخر مظاهر الحياة المتطورة على سطح الارض : الانسان .

(٢) مجلة الاقلام : مشروع بحث في الابعاد الفنية : شاكرون آل سعيد ، ص ٦١ ، مجلة الاقلام ، ج ٥ ، السنة الثانية ١٩٦٦ .  
(٣) تروي حكايات ألف ليلة وليلة عن امير سحرته الجان الى نصفين اولهما من الصخر وهو النصف السفلي . واحسب ان هذا المثال الاسطوري خير شاهد على ازدواجية ( الانسان - المادة ) . على همود الجثة - الجسد . ان المنهج المتراجع ( التخليق العكسي ) للتطور يظلمنا على امر المخلوق منذ ان لم يكن قد كان الا كما اراده الله .

آنيا ورسائله الفضائية ارضيا . ولم يسمع من المندليب سوى تفريده ، وكان يطير دونما جناح . فقد استغنى عن جناحه بقفص من الحديد الاخضر . وكما اصبح المندليب ارضيا اصبح القفص فضائيا . فقد اكتسب صفة جناح اسيره . اما المندليب ، فما جدوى جناحه اذا هما لم يطلقاه في سمانه ؟؟ . ومن خلال رفيف اجنحة لا جدوى منها ، وصمت قصبان لا جدوى منها اسمع ، وتسمع انت ، الاصوات .

فيا لهمهمة الابكم - الناطق ! ويا لتحليق الدارج - الطائر ! ولكن تجربة المندليب ذي القفص الاخضر كانت من تشق القار وهو في اتونه ، ومن نطق بطل الاسطورة المسحور وهو في حالة مرضية . فالاسطورة كائن مجنح قيل ان تصاع ، والقار المشقق ( فوق ) الارجل حينما كان منصهرا . وكذلك ذلك المندليب فهو في اتم تحليقه حينما كان يحاول ان يزيل عن نفسه ( خضرة ) اللون الذي طلى به قفصه ، وتلطف هو به . فقد كان يكتشف جناحيه بواسطة منقاره ... منقاره الرمادي الصغير ولكيما يطير في قفص غير منظور ولا مرئي .

ولا يستطيع الفن ان يكون طيارا ، ولا الفنان ان يكون انسانا مجنحا اذا هو لم يجد السالب في الموجب ، لا كتناقص بل كتعادل ، ذلك ان مثبت الجناحين هو ( تداخل ) كل من الضحية والجلاذ . « هنا يمكننا ان نضع عنوان الفصل هكذا : فلسفة التعبير الفني وفيه يتجلى معنى العودة اي تعاضى كل من الشكل واللا - شكل » .

فانا انت ، وانت هو ، وهو هي ، ونحن هم ، وانت انا ، وانا هو ، وهو انا ، وانا نحن ، وهو انت ، وهي هو ، وهو انت ، وهم نحن ، وانا انا ، وانت انت ، وهو هو ، وهي هي ، ونحن نحن ، وهم هم . وهكذا فان اول معارج ( الفناء ) فيما بين الشكل واللا - شكل هو ان اجد انا الانسان نفسي في المندليب ، والمندليب في القار ، وان اجد ايضا نفسي في القار . وحينما تتداخل ( الابعاد الحياتية ) ، اذن ، تفنى الصفات ، وحينئذ فقط يصحى بإمكان العمل الفني ان يكون عملا فنيا بحق وحقيق . ذلك انه سيكون ( بديهية ) وليس ( تعبير ) او ( قيمة ) .

\*\*\*

المندليب في لون قفصه ،  
وجناحه فضيانه .  
القار من لون وهجه ،  
ومنصهره جوامده .  
وعلى الوجوه تبدو حقيقة بريق العينين ، اما العمى فبريق اعينهم في قلوبهم .

والوجه المجنح هو بكاء العين وبراءتها . والاعمى المبصر هو من لا ينظر حتى في ( مرآة ) نفسه . فما عسى ان يكون القفص حتى في ( صورة ) مرآة ؟؟ ما جدوى ان تبصر العين دونما دموع ، ودموع ؟؟  
ذلك ان اللون الاخضر ان يستحيل الى قفص حقيقي اذا لم يلتصق بجسدنا . والتشقق الذي يتعرض له القار ان يكون تشققا حقيقيا اذا لم يحدث في نفوسنا .

جناح الانسان من تجربة المندليب ،  
والقار مثبت جناحيه .  
فالمندليب في قفصه تحرر من اللون الاخضر ، والقار في ( موقعه من مواطء الاقدام ) تحرر من ( مجانيته ) . والانسان العائد من ( محنته )

تحرر من غروره . فتمنى نبت اذن جناحه ؟؟

والمشكلة الاساسية تبدأ من هذه المعادلة المنطقية :

« الانسان كائن ارضي ، والانسان كائن حر ، فالارض كائن حر » .  
ومن هذا المنطق اللامنطقي ... هذا العبث العقلي (؟) يتولد

الجناح .

ان العبودية او الالتصاق بالارض لا تصبح حرية مطلقة (هـ) اذا هي لم تفلت من زمام الموقف ، والانسان المجنح هو من يفلت من زمام ( غروره ) . انه ليس حراً لانه انساني ، ولكنه حر لانه عبد . انه حر لانه ( هو ) هو على سجيته دونما ( شعور ) بالعبودية . فله ان لا يتجاوز وضعه معبراً عن تمرده لانه ليس بالتمرد . هو كذلك لانه في رحلة ازلية وانطلاق .

وهكذا العنديل . فجناحه من لون قفصه الجديد ، وشقوقه من اخاديد مجاري ( منصورة ) الازلي ( انه ازلي بنظرة انسان فان ) . انه هو هذا الطائر الماشي ، والعبد الحر . لكن الانسان صائر مع ذلك لان يكون فنانا . وفي الانسان طيرانه .

\*\*\*

الارضي اجتماعي . انه هذا الجسد المادي الوجود ، والجنة ذات الابعاد . وهو الآلية التبريرية . اما الحر فهو الإرادة الشاملة واللا - آلية . وفجأة يكشف المادي ارادته والآلي شموله ، وتسقط جميع ( الاختام ) الساحرة دون ان تمس . وهكذا تفتح الابواب اصابع سحرية ، او بصورة موضوعية ، اسطورية غير مرئية ( فيسمع الصرير ) ، ويطير العنديل من غير ان ينشر جناحيه ، فيعلو بجسده دون ان يرفعه عن الارض . ويسيل .. يظل يسيل ، القار على قارعة الطريق ، فلقد ولد الفنان .

ولد الفنان . ولكنه تجاوز ارضه ولم يعد لها . فاذا ما عاد فسيمود غربيا . وهكذا يصبح الانسان مجنحاً في طرفه عين . نعم . اصبح الانسان مجنحاً بواسطة فنه ، فهل كان له ان يظل محلقاً ؟ ولكن الانسان اللا - آلي ليس بالعنديل الصناعي ، ولا بالقار الفاقد لخصائصه الطبيعية النقية اذ سرعان ما يكشف انه بحاجة الى قدميه ، وانه في ضرورة ماسة لان يتجمد ، ولان يعود الى لا آلية حريته المائلة . انه سيحتفظ بجناحيه وقدميه في نفس الوقت ، وبجموده وانصهاره معا .

(٤) العبث العقلي هو عين الكشف اليقيني . حيث المعرفة لا تكتسب ابعادها المألوفة ، وحيث المنهج هو على النقيض من المنهج المنطقي المنظم . واذا ما حللنا معناه من التلاحية الاصطلاحية ( ونحن هنا غير عابثين ) نصل الى ان معناه لا يعدل ان يكون ( عدم جدية العقل بـ او الاتجاه العقلاني ) فاذا ما غمزناه ونحن عابثين فسنقول انه الجنون ( ومن لنا بالجنون في الحياة ؟ ) الا ان العبث العقلي ، مع ذلك ، وفي اول مراحلها هو ( مكوس ) المنهج الجدي : اي انه ( اللا - مألوفية ) . فالتألب عابث عقلي ( لا عقلاني ) حينما اتصرف بصورة غير مألوفة ( ولكني ، بعد ، غير مجنون ) . اني اناقض : اناقض تصرفاتي الانسانية المعقولة ولكني لست اجدها كائنسان . وهو في مرحلته الوسطى عدم اهتمام بها - اي بكونها عبثاً صادراً عن انسان يدرك مناقضته للتصرفات الانسانية المعقولة . انه سيفنى عن ( جده المنطقي ) من خلال ( عبثه المنطقي ) . اما في مرحلته الاخيرة فسوف لا يفنى عن انسانيته المعقولة فصحب بل عن انسانيته بالآلة . سيتحدد ( مجازاً ) مع العالم الخارجي ، او يمكن ان نقول انه سيكونه ( ولئن دون ان يتقمصه او يتجسده ) ، سيمارس منه ( جده - اللامنطقي ) او بتعبير آخر ( لامنطقه - الجدي ) . ... سيفلسف ( عبثه ) ، وسيكون بالطبع ( مجذوبا ) وبالمعنى الصوفي ... سيتصرف كحيوان او كطائر او كمجرد مادة .

(هـ) وهي غير الصمدية . فالحرية في الصمدية هي حرية الواحد بل الاحد : ومن ابعاده ان يكون بلا بداية ولا نهاية . ومثل هذه الحرية المطلقة لا تشتت وجود العالم الخارجي كشرط لوجود الانسان ، في حين ان الحرية المطلقة عند من يفلت من زمام المألوف بتشكيلها النهائي - اي حرية ( لا - منطقي - جاد ) هي حرية ( المجذوب ) حيث (تثائية) الانسان والعالم .

وبعد ان تستنى له ان يكون ( آتما - قديسا ) سيمود ( قديسا - آتما ) .

\*\*\*

ويسير المنطق الجمالي في ركاب هذا المنهج الصوفي . كان المادي ميمراً عن الروحي ، والان ، فعلى الروحي ان يعبر عن المادي . سيمير الفنان عن المتفرج ... عن المشاهد بعد ان عبر لنا المشاهد بل المتفرج عن الفنان .

\*\*\*

وفي العمل الفني لا تلبث المحاولة ان تصبح تجربة ، والتجربة فعلا . ان العمل الفني الحقيقي هو ان يكون الانسان فنانا بواسطته والا فهو مجرد لبوس يلبسه وغطاء يندثر به . وفي صميم الفصل ، سواء اكان تصوراً ام فعلاً ، يعلو الفنان .. يعرج ، وهو انما سيتجه مع ذلك . واتجاهه هذا سيكون المراج الذي يسلكه ، والاداء المادي - الروحي الذي يؤديه . ولكن في صميم الاتجاه والسمو سيتحقق الفعل بابسطة مظهره ، وسيتلاشى كلما تقعد متطوراً نحو شكله كتجربة ومحاولة .

الطائر يطير فحسب . فهو لا يتعلم شيئاً اثناء طيرانه ( فقد سبق ان تعلم ذلك في محاولاته الاولى للطيران ) وهو يمارس طيرانه في حالة حضور شعوري ، والفنان الطائر هو من تتقدم امامه الابعاد والاتجاهات لانه في صميم الابعاد والاتجاهات . وليس ثمة ازاءه من صعود او هبوط وانما الطيران الفعلي فحسب .

فلماذا سيمود ؟

ولماذا ستتعلم عنده الابعاد ؟

بيد انه سيمود لانه لم يجد شيئاً ، ووجد كل شيء . وستتعلم الابعاد لانها لم تكن بالابعاد ازاء من هو في صميمها . لم تكن بشيء وكانت كل شيء . وهكذا فما بين ذهاب وعودة الفنان ، ما بين اتجاهه نحو جهة ما وعودته من تلك الجهة سيتغير شكل العمل الفني . سيتسحيل العنديل الطليق الى حبيس ، والقار المنصهر الى منجمد ، والطائر الى انسان . ففي الفن وحده يتسنى للانسان ان يكون لا - انسانا ، ويتسنى للا - انسان ان يكون انسانا ... ان يستحيل اللا - مألوف الى مألوف ويتساوى كلاهما في ان يصبح ( بديهية ) . وهذه هي حقيقة الانسان المجنح .

وفي كل ذلك ينعدم المصير ، وتتجلى ( جبرية ) العمل الفني : فالفنان الذي يكشف بعد لاي ان ليس من فارق ما بين ذهابه وعودته ... ما بين ايجابيته وسلبيته ، وما بين شكله ولا - شكله لن يجد ما يسعى الى تحقيقه كعمل ابداعي . اذ يصبح ابداعه وتجديده هو ليس اكثر من ( دقة ) في العمل الفني واستمرار في الانجاز . وهكذا ينعدم امامه مصيره .. هدفه الواضح ، ويستحيل وجوده الى حالة من ( عبث جدي ) . فهو مكوس لغير حريته ، ومهيا لاكتشاف وجود اشمل من وجوده . انه حالة ايمان في موقف ( توكل ) . وفي الفن لا يصبح التوكل الا ممارسة جميع التوصلات الممكنة (اي بحكم الوقت) دونما اتجاه معين (٦) . انه وحدة الشكل واللا - شكل والتقاؤهما في كل ما هو عمل فني .

\*\*\*

#### ٤ - التجلي الرابع : من قيم العودة

قال السهروردي قبي اصوات اجنحة جبرئيل :

(٦) الا ان انعدام الاتجاه هنا هو انعدام القصدية ، وليس النية نفسها . والعمل الفني وان بدا وكأنه يتخبط في غير ما طريق واضح المعالم فذلك لانه يحكم كونه محاولة لتشق طريقه . فبما اساليبه الممكنة سوى ما عبر فيه باخلاص وصدق وليس الاسلوب هنا هو كيان مادي يتعلق بالمهارة في الاداء ولكنه هو المهارة في الابداع ، اي الكشف عن الحقيقة ، والربغاب الشخصية الفنية نفسها . ولا يعني ذلك بالطبع استغارة شخصية فنية اخرى تحل محل شخصيته وتقودها ، ولكن فناء كل ما يستشوب بحوثه الخاصة والى بحضور الحقيقة .

» .. فسألته في أي إقليم توجد المدينة ؟؟ فقال في

إقليم لا تجد السبابة إليه متجهًا .. »

\*\*\*

يبدأ العمل الفني من ( اللا - شيء ) وينتهي إلى ( اللا - شيء ) .  
وبنفس المعنى يمكننا أن نذكر الإنسان ، لا كعالم اجتماعي ، وتقاليدي  
بشرية ، ولا كذات والتزام ، بل ( كفناء ) وتقصص لا - أبالي بالعالم  
والذات على السواء . والإنسان كالعمل الفني يبدأ من اللا - انسانية  
وينتهي إلى اللا - انسانية . وكذلك عندليب ... غناء عندليب  
يولد من الصمت وينتهي إلى الصمت . فهو كتفريد تعبير تمرد ، عن  
الفرقة والاحساس ، وهو أيضا تعبير مجاني ، كفعل ذي ابعاد جمالية .  
أما القار في موقعه على فارة الطريق فسواء هو فسي جموده أو  
سيولته ، عفويا ، في أن يظهر لنا وجه الصدفة في ابراز الجمال .

والعمل الفني ( من خلال الفن والإنسان والعالم الخارجي ) هو  
ثبات على شيء ، أو أنه لا - شيء . فإذا ما بدأ به من النقطة كاتجاه :  
أي تلافي ثلاث مستويات ، فلن يظل امدا طويلا لكيما ينتهي إليها .  
ذلك أن أي خط سيرسمة فيما بعد ، أو أي سطح يظل في صميمه  
نفس اللا - ابعاد التي انبثق منها ، طالما لم يتطور بواسطة استحالاته  
إلى كتلة حينما سيتمحه الظهور الخارجي بعده الثالث . فإذا ما امتلك  
هذا البعد فإن السطح الذي أصبح حجما يفقد الآن مزيته في أن يكون  
مجالا للاتجاه حتى كخط مفلق . وهكذا ، فالانحياز في أساسه هو ( لا -  
اتجاه ) إلا إذا كان شكلا متصورا ، ولكن تصور الاتجاه ليس من صميم  
العمل الفني . فهل للخط المرسوم في صميمية إلا أن يظل ( زخرفة )  
محطة أو صميمها ما ؟؟ في حين أن النقطة التي لا تلبث أن تصبح سطحا  
نظل ، كحركة لولبية ، وكدوامة ، محيطها من مركزها . وإذا ما بدأ ،  
أي العمل الفني ، من الخط كنقطة فهو لا يلبث أن يكرر نفسه دونما  
ملل . ويتجلى حتى في امتداد أجزاء المحيط الذي ينبثق منه . ذلك  
أنه صائر في النهاية ، مهما استفاد ، إلى انفلاق . وانفلاق أي مدخل  
انفتاحه الفيسي . لأن انقطاع أي عمل حركة في العمل الفني هو  
استمرارها الداخلي (٧) . أن أي خط هو في نهاية الامر ، كبدايته ،  
استمرار لا نهاية له ، وامتداد لا انقطاع له ، واشعاع لا يمكن بحجبه .  
وهكذا . فالتبات في أساسه هو لا - ثبات .. هو شمول النقطة  
وتعديدها . أي الحركة في شتى الأبعاد .

وفي اللون ، وهو مسؤولية الرؤيا الفنية ، لا يلبث السطح  
التصويري أن يكتسب قيمته التعبيرية ، كمجموعة من الاشكال، وكشكل  
عام في نفس الوقت في حين أن منطق الرؤية يستدعي فناء اللون من  
خلال الضوء والدرجة . فالبعث اللوني في صيرورتي ، كبديهة وليس  
كتعبير هو في نهاية الامر بحث تقييمي خارج نطاق الصيغة وبواسطة  
تكون ( الظلال الفعلية ) ... الظلال التي لا تصيفها درجات الألوان بل  
كتافتها . ومن هنا فاللون هو ( لا - لون ) كبعث خطي اتجاهي . إلا أن  
غاية العمل الفني وسببه ( مهما كان متلاشيا بواسطة تكافئه المتناقض ،  
كلاشي يصبح شيئا ) هو السطح التصويري في شكله المربع أو المستطيل  
حيث لا يلبث أن يكون جزءا من كل . وما الكل سوى السطح الذي لا  
خود له ولا مسمى ... السطح الذي ينداح مهما نظرت العين  
ويستعرض فهما امتدت قطعة القماش . وهو في النهاية ليس أكثر من  
دائرة واسعة لا حدود لها . دائرة وليس كرة . وهنا تبرز مشكلة  
اساسية في العمل الفني . فالإنسان صائر إلى أن يعبر عن الانسانية .  
والإنسان صائر إلى أن يعبر عن اللا - انسانية ، واللا - انسان سيعبر  
عن الانسانية ، واللا انسان سيعبر عن الانسان . فمن هذا التداخل  
ما بين الجزء والكل ... ما بين الشيء واللاشيء يبرز السطح الفني .  
كمربع ودائرة لا نهاية لمحيطها . كنقطة ، وكمساحة . ولكن التسطيع  
في نهاية الامر هو مبني الاسس . ذلك أنه المنطلق المادي للعمل الفني .  
فكل ما سيرسم عليه سيكون حصيلة التصور لكتلة والمنظور والملاح .  
في حين أن ما يمكن تكريسه للسطح هو الخط وحده ( وهذا هو المنطلق

(٧) أن السكون الظاهري للأجسام لا ينفي حركة اجزائها الداخلية،

أو مكوناتها .

الخاص ) .. الخط الذي مهما يقال عنه فسيكون امتدادا صائرا إلى  
أن يصبح سكونا . فهو هو الشكل الفني للسطح . إذ ليس بالإمكان  
رسم خط ما دون أن يكون في نفس الوقت مساحة . ومن هنا فالعودة  
إلى فن السطح هو اندياح لا مفر منه في سياق التعبير الخطي . حيث  
الحركة والسكون منجسدان في كيان واحد . وحيث الاستعاضة عن  
العمق والمنظور بالاتجاه والفراغ ، وحيث الاكتفاء بالآخر في الماثورة  
وبالعنوي في المادي .

والخط في مجاله الأرضي يبدأ من طبيعة السطح ، ويتجه نحو  
اللا - اتجاه . ومن خلال غيبوبة القصد ، واضمحلال الغاية ينقذ  
اللاشيء من أن يكون شيئا ، والخط من أن يكون خطا وليس اثرا ، فما  
هو إلا سطح غائب وحاضر معا ، وامتداد فضائي وتشكيلي . أنه سراب  
في سراب .

\*\*\*

في فجر ما كان الانتظار يمتزج بالتسكع ، وعند اعتاب المعبود  
تستلقي الاحذية (٨) والسجاد والاجساد ... الاجساد التي آثرت  
الاستلقاء على الوقوف ، وكانت ، لا بد ، تقول ما لا تفوه به . ثم انساب  
كل شيء بفتنة نحو أن يصبح شيئا ما .

العندليب يفرد فتسمعه . وهو يفرد وان لم تسمعه . ونحن  
حينما نقول ما نريد أن نقوله فسوف نصمت . ولكن أي صمت هو  
هذا الفناء السطحي ( الظاهري ) للحركة .. للحياة ؟؟ الصمت الحقيقي  
هو الخرس (٩) ، ومن يدري كم ينطق الإبهم بحكم الصدفة .

عند اعتاب المعبود استلقت ( الطبيعة ) تتعبد ، ولم تكن نسمعها  
لأننا لم تكن في سلبية إيجابيتها . إلا يتسنى لنا أحيانا أن نسمع خريف  
الماء ؟ ولكن اطيافنا التي نسبح فيها في لجج من مياه الكهوف ستشمر  
هناك خلال همسة تيار نازف .

أن الماء الذي نشربه ليس كالذي نحلم به ، وتحلم به البشرية  
المعطشى ، بشربة . وأن الماء الذي ( يحلم ) بأن يستقر في أجوافنا  
ليس هو هذا الماء الذي يخلو من أية رائحة وطعم ... ومع ذلك فقد  
امتزج الحلم بالنصير ، والنوم باليقظة ، في عدة لحظات من تجلي .  
وانحد الإنسان بالطبيعة في وحدة من الزمان والمكان .

في مطلع اللحظات الأولى امكنني أن أقول في نفسي : أولئك  
ينامون عند الاعتاب ، وآخرون يظلون فرادى . وفي فردية الإنسان نبدو  
موضوعيته ، لأن الذي يوحد ما بين الإنسان وربّه هو اتجاه الإنسانية  
لربها . ولكن ما أشد غرور هذا الكائن الذي يتصور أنه يقاسم غيره  
نعمه . والمتعبد المفرد هو المتواضع ( أن فردية المتعبد لا تتسم دون أن  
تستوفي شروطها وتستكمل أبعادها .. كفياب عن العالم الخارجي والفناء  
في المطلق ولو بحضور النسبي ) .

وفي الفن تبدو قيم الرجوع من خلال عودة الحصان الأخضر المجنح  
ضربا من الفناء الحي . فليس الامر هو مجرد جمالية الإبداع الفني ،  
سواء من خلال القيم الإنسانية أو الفنية . بل هو أبعد من ذلك - إذ لا  
وجود فني بلا وصول - فهو فناء كل ما عدا البديهة ، أما فناء البديهة  
فبديهة الفناء . وهكذا . تصبح قيمة العودة الرئيسية انتهاء للعمل الفني  
( أي اقلاع فوصول ) . أو ذهابا وعودة ، وبواسطة تلاقي كل من الشكل  
واللا - شكل ، وما هو انساني بما هو لا انساني ، وبواسطة ما هو  
مألوف بما هو لا مألوف . وسيان هنا أن نبدا من النقطة أو الخط ،  
وسواء أن يكرس الواقعي للفني أو ما هو مجسد لما هو مسطح فالعمل  
الفني استحالاته إلى ممارسة ، إلى أنجاز فحسب . وسيختلط فيه الفن  
( بالفعل ) ، والإنساني بالمادي ، وذلك فيما يشبه تفريد عندليب ، وصلابة  
قار ، وحيوية انسان .

بفداد

شاكر حسن آل سعيد

(٨) « وأخلع نعليك أنك في الوادي المقدس طوبى » القرآن الكريم

(٩) في أحد كتب التصوف ، أطلقه ( التصوف للكلياذي ) ، هذا

الوص لاحدهم : « التصوف كلمة البرسام . في أولها هديان فإذا تمكنت

أخرست . » فمن لنا ياخرس الصوفي !